قصص مسرحية للأولاد

روز غريّب



حكايات جحا
١



دار الكتاب اللبناني — دار الكتاب المصري
بيروت - لبنان — القاهرة ج.ع.م

مجموعة قصص للأولاد

٧

روز غريّب

حكايات جحا

١

تصدرها
دار الكتاب اللبنانى — دار الكتاب المصرى
بيروت - لبنان   القاهرة ج م ع

المقدّمة

جحا واحد من اصحاب النوادر الذين ورد ذكرهم في كتاب الفهرست لابن النديم[1]. وزعم ابن بابه – وهو مؤرخ مغمور – نقلا عن الجاحظ ، ان اسم جحا الاصلي هو نوح وان كنيته ابو الغصن . وانه عاش مئة سنة ، عاصر عمر بن ابي ربيعة الذي ذكره في شعره[2]، وادرك الخليفة العباسي ابا جعفر المنصور . وقد ورد ذكر جحا في شعر ابي العتاهية وفي كتاب الموشح للمرزباني.

لكن الباحثين لم يتوصلوا بعد الى تحقيق إخباره ولم تتوفر لديهم معلومات تاريخية تثبت وجوده . فهو لا يزال حتّى الآن شخصا اسطوريا ، تروى عنه مئات النوادر التي تنسب احيانا الى غيره او تأتي مجهولة النسبة ، ولهذا تعد في باب الفولكلور .

لقد انتقل جحا الى تركيا واحتل مركزا هاما في الادب التركي الفولكلوري تحت اسم نصر الدين الخوجه وتطورت شخصيته هناك فصار انموذجا لصاحب النكتة اللاذعة التي ظاهرها هزل وباطنها هجاء .

وذاع صيته في الشرق والغرب . انتقلت اخباره الى مصر وبلاد المغرب ووضعت في قالب تمثيلي . واصبح له مقابل في الادب الشعبي الفارسي ونقلت

---

(١) ورد ذكر « نوادر جحا » في ص ٤٤٩ من « الفهرست » لابن النديم (مطبعة الاستقامة بالقاهرة).

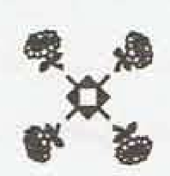
(٢) ليس في ديوان عمر بن ابي ربيعة ذكر لجحا . ولعله ذُكِر في شعر له خارج الديوان .

بعض اخباره الى الالمانية والفرنسية بواسطة المستشرقين ويسلسكي وباسيه .
كما نقل قسم منها موخرا الى الانكليزية .

في هذه المجموعة وضعت اشهر اخبار جحا باسلوب يوافق الاولاد . قسمتها الى موضوعات وجمعت تحت كل منها ما يمكن ربطه بعقدة رئيسية . بذلك اصبحت النكتة القصيرة التي لا تجاوز صفحة او نصف صفحة ، جزءاً من قصة يتراوح طولها بين خمس صفحات وعشر او اكثر من ذلك .

هناك نكات اخرى عن جحا لكنها اقل شهرة . او هي بالغة الايجاز تعتمد على جواب مضحك او عبارة طريفة لا تثير بمفردها اهتمام الولد ولا ترضي رغبته في القصة التي تتضمن نشاطا وحركة وتقتضي مقدارا من التوسيع والتشعب والنمو .

ر. غ.



جحا وحماره

لا بُدَّ أَنَّ كثيرِين منَّا سمِعُوا بجِحا وأَخباره . لكِنَّهم يرغبُون في سَماع المزيد منها ولا يَمَلُّون سَماع القدِيم . وكما يُحِبُّ الكِبار أَخبار جِحا يُحِبُّها ايضاً الصِغار .

والآن سأَقُصُّ عليكُم أشهر ما رُوي عَنْه .

كان جِحا رَجُلاً طَلْقَ اللسَانِ ، حَسَنَ النُكْتَة ، شَرِهاً إلى المآكِل اللذيذَة ، لكنَّه لا يُحسِن عملاً ولا يَعرِف صَنعة . فكانت زَوجَتُه تَنصَحُه بالبَحث عن عَمَل وتَقُول له : ما دُمْتَ تَرغَب في الطعام اللذيذ يَجب أَن تَشتَغِل وتَجمع النُقُودَ التي تَجعَلُك قادِرا على شِرائِه .

جحا : لكِنَّني لا أَقْدِر على الشُغل ولا أُحسِن عَمَلاً !

الزوجة : ما دُمْت لا تُحسِن عمَـلاً أَقْتَرِح عليك أَن تَشْتَرِيَ حِمارا وتُكارِي عَلَيه .

جحا : تُرِيدِين مِنِّي أَن أَصِير مُكـارِي دواب ؟ أَلا تعلمِين أَنَّ الذي يُعاشِرُ الحَمِير يُصبِح حمارا ؟؟

الزوجة : أَنت غَلطان . في هذه البَلْدَة حمير كثيــرة اقتَناها أَصحابُها للكِراءِ أَو للركُوب أَو لحَمْلِ الأَثْقــال . ولَيس بين أَصحاب الحمير من صار حِمارا !

ظَلَّت الزوجة أَيّاماً تُرَدِّد في سَمْع زوجِها هذه الأَقــوال وأَمْثالِها وتُغرِيه بِمُشْتَرى حمار حتى رَضِيَ أَن يَعمَل بمَشُورتِها ليَخلُص من لِسانِها . ذَهبَ إِلى السُوق واشترى حمارا دَمِثَ الأَخلاق ، سَهْلَ القِياد ، مُقْتَصِدا في اللبْط والنَهيق . فكان جِحا يَنقُل على ظَهْرِه الأَحمال بالأُجرة . وفي ذات يَوم كان عائدا من السُوق يَجُرُّ الحِمار برَسَــن طويل وَوِجْهَتُهُ بَيتُه . فلما بَلَغ باب البَيت التَفَتَ صَوْبَ الحمار فرأَى مكانَه رجُلاً مربُوطاً بالرَسَن .

إِرْتَعَبَ جِحا وصاح بالرجُل : مَن أَنت ؟؟ وأَين الحمار ؟

الرجل ـ آه ياسَيِّدي جحا ....



إزداد خَوْف جِحا وَرَدَّد السُؤال : أَين الحمار ؟ ومـنِ الذي ربَطك بالرَسَن مكانَه ؟

الرجل ـ آه ياسيدي جحا .. إصبِر قليلاً لأَروي لـك قِصَّتِي .

ثم تنهَّد وقال : أنا ياسَيِّدي شابٌ شِرِّير سِكِّير سَـيِّءُ الخُلق . كنت أعود إلىِ البَيْت سكران فأَضرِب أُمي وأَشتُمها

وأُعَذِّبها حتى تبكي وتَصيح من الألم . وفي إحدى المرّات ، حِين أَكْثَرتُ من ضَربِها ، دَعَت عَلَيَّ فمَسَخَنِي الله حمارا واشتَرَيْتَنِي أَنت مِن غير أَن تعرِف أَصلِي . وبَعد زَمَن ، رَضِيَتْ عَلَيَّ أُمي وغَفَرَتْ لي فدعَتْ إلى الله أَن يَرُدَّني إلى هَيْئَتي الأُولى فاسْتَجَاب لها ... والآن أَرجو منك أَن تَفُكَّ رِباطي وتُطلِقَنِي لأَعود إلى أُمي .

فتأَثَّر جحا من هذه الحكاية وفَكَّ رباطَ الشابِّ فذَهَب في سَبِيلِه .

وعاد إلى زوجَته وعلى وَجهِه عَلامات التأَثُّر الشديد . ولما قَصَّ عليها حكايَة الشابِّ هَزَّت رأْسها وقالَتْ : أَيُّها الأَبله. لَقَد احتَالَ علَيك هذا اللص وأَخَذَ حمارَك وروى لك حكاية لا يُصَدِّقها إلا الأَغبِياء . فكيف تَرَكْتَه يذهَب ؟

جحا ـ أَتَظُنِّينَه كاذِباً ؟

الزوجة : لا شَكَّ في ذٰلك !

جحا : حَرام عليك يا امْرأة . لا تُسيئي الظَنَّ في الناس ! إن قِصَّته تُرِينا عَدْل الله في أَحكامِه ، وإني أَشعُر بالخَجَل حين أُفَكِّر أني كُنت أَستَخدِم ابْنَ آدم وأنا أَظُنُّه حمارا ! !

الزوجة : قُلتُ لك إن الرجُل لِصٌّ مُحتَال وقد خَدَعك !

جحا ـ ولكن ... أين الحمار ؟ ماذا حَدَثَ له ؟

الزوجة ـ يَظهر أنه فَكَّ الحمار وسَلَّمَه إلى أَحَدِ رفاقه اللُصوص ثم رَبَط عُنقه بالرَسَن مكانَ الحمار .

جحا ـ وكَيف لم أُحِسَّ به ؟؟

الزوجة ـ لأَنك مُغَفَّل بَليد الإحْساس .

فصاح جحا ـ ألم أَقُلْ لكِ إنَّ مَن يعاشِرُ الحمير يُصبِح حمارا ؟؟

فقالت الزوجَة : ليس الذنبُ ذنْبَ الحمار ....

مضى على هذه الحادثَة زَمَن . وعَادَت الزوجَة تُلِحُّ على جحا لكي يَشْتَري حمارا ، قائلَةً إنَّه لا يَصلُح لِشَيءٍ إلا لِسَوْقِ الحمير وإنها لا تُطيق أَن تَراه في البَيْت دُون عَمَل . ولما استَمَرَّ في مُمَانَعَتِه وعِنادِه ، ذَهَبَتْ بنَفسِها إلى السُوق واشْتَرت له حمارا كبير الجُثَّة عظِيم القَوائِم ، فَخَافَه جحا وسأَلَها : لماذا اشتَريته كبير الحَجْم ؟

فقالَتْ : كان الحِمارُ الأَوَّل وديعاً خاملا قليل الحركَة

فسَرَقَهُ اللصُوص . أما هٰذا فلن يَجسُر أَحد على سَرِقَتِه لأَنه قوي عنيد سريعُ اللبْطِ والجَرْي .

ساقَ جحا الحمار إلى إصْطَبْل بجانِب البَيْت فَرَبَطَه هناك وقَدَّم له عَليقاً . وراح يتأَمَّل طولَهُ وعرضَه وفي نفسِه شيءٌ من الخَشْيَة .

لم تَمْضِ بِضْعُ دقائق حتى أَخَذَ الحمار يَنهَق عالياً فملأَ الحَيَّ صِياحاً وجَلَبَة . وعَرَفَ الجِيران بوجُود حِمار في دار جحا فصاروا يَقصدُونه واحِدا بعد آخر لِيَسْتَعيروا منه الحمار . فيَزعُم أَحدُهم أَنَّه محتاج إليه لنَقْلِ حِمل حطب ، وآخر يُرِيد ركُوبه إلى السُوق ، وثالِث يُرِيده لِجَلْب أَمْتِعَته من مكانٍ بعيد . فَغَضِب جحا وقال لامرأته : هل اشترينا الحمار ودَفَعنا ثَمَنه لينتَفع به غيرُنا ؟ لقد ابتُلينا بجيران وَقِحين فاقِدي الحَياء . ولَنْ أُعير الحمار لأَحَدٍ مِنهُم بَعْدَ الآن .

وفيما هُو يتَكَلَّم جاءَه أَحدُ الجيران يَسْتَعير منه الحمار قائلاً : عَرَضَ لي سَفَر مُفاجِئ وأُريد أن تُعيرني حمارك .

جحا ـ يؤسفني أن لا أَستطيع تَلبية طَلَبك فقد بِعْتُ الحمار .

في هذه اللحظة أخذ الحمار يَنهَق نهيقاً عالياً ارْتجَّت له جُدران البَيت . فقال الجار : ها هو الحمار لا يَزَال هنا فكيف تَقُول إنَّك بعْتَه ؟



فَغَضب جحا وزَعَق في وَجْه الرجُل زَعقةً أَرعَبَتْه وقــال : أَتُصَدِّق الحمار ولا تُصدِّقُني ؟!

جَلَس جحا بعد هذا يُريح أَعصــابه من الهَزَّة التي أَصابَتْها . وأَخَذَ يُفكِّر في هذا الحمار الذي عَكَّر عليه صَفْوَ عَيشه ومَلأَ بَيْتَه ضجيجاً وأَثارَ نَقمَتَه على جيرانه . فقرَّر أَن يَبيعه ولو عارَضَت زوجته . ولما أَخبَرَها بما عَزَم عليه قالَتْ له : لمــاذا تَترُك الحمار في البيت دُون عَمــل ؟ تُقَدِّم له العَليق فَيُقَدِّم لَك النهيق ولا يَسْتَفيد منه إلا الجيران . قُم وَضَعْ على ظَهره حملاً من الخَضار أَو مــن بضاعَة أُخرى يَسهُلُ بَيعُها . ونادِ على بضاعَتكَ في الأَسواق فَيَشْتَريها منك أَصحاب الحاجات .

جحا ـ فكرَة حسَنَة . ماذا تَقْتَرحين علَيَّ أَن أَبيع ؟

الزوجة ـ أَقترح أَن تَبيع المخَلَّل . فقد كان هذا الحمار عند الخَلاَّل . وقد تَعَوَّد بَيعَ هذا الصِّنْف من المأْكُولات .

قال جحا : أَصبْتِ . إن بَيْع المَخَلَّل مهنة شريفَة !

ثم قام ووضَع على ظَهْر الحمار جَرَّتَيْن من المخَلَّل وسار به في السُوق وهو يُنادي : « مُخَلَّل . مُخَلَّل . » وبما أَن الحمار كان يَعرف البُيوت التي تَشْتَري المخَلَّل أَخذ يَنهَق عالياً كُلَّما وصَل إلى واحد منها فيُغَطِّي بنَهيقه صَوتَ جحا. وعَبَثاً حاوَلَ هٰذا أَن يَرْفَع صوتَه ليَسمَع الناسُ مناداته ، فلم يَسْمَعُوا إلا نهيقَ الحمار !

حينَئذ غَضب جحا وخاطَبَ حماره قائلاً : « أَأَنْتَ تَبيعُ المخَلَّلَ أَم أَنا ؟ » وعاد بالحمار إلى البَيت وقال لزَوْجَته : هذا الحمار لَنْ يُفيدَنا شَيْئاً ولا بُدَّ لنا من بَيعِه .

قالَت الزوْجَة . لَنْ تَبيعَه قبل أَن تَذْهَب به إلى الطاحون لطَحْن كيس القمح الباقي عندَنا .

وفيما هما يتَحَدَّثان قُرِع الباب . وحين فَتَحه جحا

رأى أَمامه جماعة من رجال الحَيِّ ومعهم ثمانيَة حَمير . فاسْتَعاذَ بالله وقال : ماذا تُريدُون ؟ !

أجابَ واحد منهم : تَعْرف أَن العادة هُنا أَن نَتَعَاوَنَ في طَحن القمح . فَبَدَلاً من أَن نَذْهَب جميعاً إلى الطاحُون مع حميرنا ، نُكَلِّف واحدا منَّا بـأَن يَسُوق الحَمير ويَقُوم بطَحْن القمح للجَميع . وقد جاءَ دورُك اليومَ في طَحْـن القَمْح لأَهْل الحَيِّ .

قال جحا : الحمد لله لأَن دَوري يَقَع في اليَوم الذي فيه يَجِب أَن أَنقُل قَمحي إلى الطاحُون . لقد جِئتُم في الوَقت المناسِب .

فقال واحد من الجماعة : عرفت هذا الخَبَر قَبل أَن تَعرفه أَنت .

جحا : كيف ؟

أَجابه ذاك الرجل : إنَّ امرأتك تَقْتَرِض الخُبزَ من عِنْدِنا مُنذ مُدَّة وتَقُول : لم يَبْقَ عِندنا طَحِين . سأُرسِل جحا إلى الطاحون لِيَطْحَن ما عِندَنا من قَمح .

خاف جحا أَن يفاجِئَه الجُوع ولا يَجِد في بيته خُبزا . وغَضِب على امْرأَتِه لأَنَّها كانَتْ تَقْتَرِض الخُبزَ من عند الجيران فتُشَجِّعُهم على ٱسْتِعارَة الحِمار . فبادَرَ إلى إحضَار كِيس القَمْح . وعاوَنَه أَحَدُ الرجال على رُكُوب حمارِه الكبير ، فَوقَ الكِيس الذي حوى قَمْحَه . ثم نَخَس الحمار فمشى ، ووراءه قافِلَةُ الحَمِير .

خُيِّل لجحا ، وهو على ظَهْر حماره ، أَنَّه زعِيمٌ أَو بَطَل يَقُود جَيْشاً - ولِيَكُنْ جيشاً من الحمير ! - فَشَمَخ برأْسه وأَحَسَّ بِنَشْوَةِ الفَخْر . تِسعَة حَمِير تَقْرَع شوارِع البَلْدة بحوافِرِها وتُثِير ضَجَّة برَنِين جَلاجِلِها وهو على رأْس القافِلَة !

نَظَرَ حوْلَه باعْتِزَاز وتَرَاجَع قلِيلاً لِيَعُد الحمِير التي وراءَه ... واحد .. اثنان .. ثلاثة .. حتى وصَل إلى الثمانِية . ولكن .. أين حِماره ؟ وأَعاد العَدَّ .. واحد اثنان.. ثلاثة .. ليس هناك إلا ثمانِية حمير ... أَين حماره ؟ لقد عَدَّ الحمِير قَبْل الشُرُوع في المسير فكانَت تِسْعَة . وها هي الآن ثمانِيَة .. ماذا حَدَث ؟ الحمار التاسع ضائِع والحِمارُ التاسع حِمارُه !!.. كاد يُجَنُّ من الخَوْف . صاح بالحمير فوَقَفَتْ . ونَزَلَ عن الحمار وأَخَذَ يُفَتِّشُ في الأَزِقَة ، وراءَ الأَشجار . ثم عاد فَعَدَّ الحمير فإذا هي تِسْعَة ... سُبْحان الله ! واستَعانَ بأَحَدِ المارَّة على ركُوب حِماره ، وساق الحمير بِضعَة أمتار ثم خَطَر له أَن يَعُدَّها فإذا هي ثمانية !

وقَعَ جحا في حَيرة شدِيدَة . ونَزَل عن حماره مَرَّة أُخرى . وعَدَّ الحَمير فإذا هي تِسعة !! جَلَس في مكانه وأَخَذ يُفكِّر ويُطِيل التَفْكِير . خُيِّل له أَنَّ الجِنَّ والشَياطِين تُرِيد مُداعَبَتَه فتارةً تُخفِي حماره وطورا تُظهِرُه . وعاد إلى

الركُوب وعَدَّ الحمير فإذا هي ثمانية . ماذا حَدَث ؟ هل نَسِيَ الأَعداد ؟ هل أُصيب بجُنُون ؟ ولَزِمَه الخَوف فلم يَقدِرْ على المسير . أَخَذَتْ تَصْطَكُّ رُكبَتاه وسَمع أصواتاً غريبة ظَنَّها أَصوَات الجِنِّ فأَخَذَ يَصْرُخ ويَسْتَغيث . ومَرَّ به رَجُل فسأَلَه : ماذا أَصابَكَ ؟

جحا : لا أَدري . يُخَيَّل لي أَني أَسمع أَصواتَ الجِنِّ .

الرجل : لا تَخَفْ . هذا وهْم طَرَأَ عليك . إستَعِذ بالله واطرُدِ الشياطِين .

جحا : أَشكُرك . لقد أَعَدتَ إليَّ رُوحِي . تَعال وشارِكني في أَكْلِ الزَّاد .

جَلَس الرَجُلان على الأَرض فأَكَلا وانْتَعَش جحا وعاد إلَيه مَرَحُه . فقال لِرَفيقِهِ : أَرجُو منك أَن تُسْعِفَني على رُكوب حماري .

لمَّا رَكِبَ الحمار وسار به بِضع خُطُوات عَـدَّ الحمير فإذا هي ثمَانية . فنادى الرَّجُل وقال : إن حميرِي كانَتْ تسعة وهي الآن ثمانِيَة . أُنظُر ياأخي أين ذَهَبَ حِماري . أَكْمِل مَعرُوفَك معي ولَكَ الأَجر عِندَ الله !

فسَأَلَه الرجل : هل عَدَدْتَ الحِمار الذي أَنْتَ راكبُه ؟

جحا : لا !

الرجل : عُدَّهُ تَجِدْ حَمِيرَكَ تِسْعة .

عَدَّ جحا الحمير ثُمَّ الحِمار الذي كان راكِباً عليه فوجَدَها تِسْعة . فَنَزَل عن حِمارِه وركَض إلى الرجُل وأَخَذَ يُقَبِّل يَدَيه قائِلا : لولاك لَوَقَعْتُ في مُصيبَة كبيرة ! لولاك لَضَاع حِماري !

وتابَع جحا السَير إلى الطاحون فَطَحَن القمح الـذي كَلَّفُوه بِطَحْنِه . ثم رجَع إلى بَيتِه مَنْهُوكَ القُوى وقـال

لامْرَأَتِه وهو يَشْتِم ويَلعَن الحَمير : أَضَعْتُ نِصْفَ عُمري في هٰذه الرِحْلَة ! كُنتُ أَعُدُّ الحمير فأَجِدُها حِيناً تِسعة وحِيناً ثمانِية . لا بُدَّ لي من بَيع هذا الحمار اللَّعِين الذي لم نَلْقَ منه سوى المتاعِب .

في الصَباح الباكِر دعا ابنَه وقال له : هيَّا معي إلى السُوق لبَيْع الحمار . أَخاف أَن أَذهَب به وَحدِي فتَخْطَفَه مِني الجِنُّ أَو تَحدُث لي مُصيبة أُخرى .

سَاعَدَهُ ابنُهُ على رُكُوب الحمار . وفيما هُما في الطَرِيق لَقِيَهُما بَعض الفَلاَّحين فقال واحِد منهم بِصَوت عال وَصَل إلى مِسمَع جحا : أُنظُرُوا جحا راكِباً حمارَه وابنُه المسكِين يمْشِي وراءَه لاهِثاً مِنَ التَعب . يا لَهُ من والِد قاسِي القَلْب فاقِد الرحْمَة !

فَعَجَّل جحا ونَزَل عن ظَهْر الحمار وأَركَب ابنَهُ عَلَيه

وتابَعا المسير . فَمَرَّا بجَماعَة من العمَّال فصاح واحِد منهم وهُو يُشير إلى جحا وابنِه : أُنظُرُوا هذا الوَلَد القَليل التَهْذِيب . أَلا يَسْتَحِي من الرُكُوب بينما والِدُه الشَيْخ يَسير ماشِياً ؟!

فَرَكِبَ كِلاهما على الحِمار وبَعد بُرْهَة مَرَّا بجَمَاعَة من النِساءِ ذاهِبات لِمَلْءِ جِرَارِهن من العَين . فَصَرَخَتْ إحداهُن : يا لَهُ من حِمار مِسْكين يَكادُ يَسْقُطُ إلى الأَرض من ثِقْلِ الرَجُلَين اللذين على ظَهْرِه !

وقالت أُخرى : سَيَمُوت الحمار ويَخسَرَانِه . آه ما أَقسى الإِنسان وما أَجْهَلَه !

حِينَئِذ نَزَل جحا وابنهُ عَنِ الحمار ومَشَيَا وراءَه . فرآهما بعض المارَّة وأَخَذُوا يَضْحَكُون ضحكاً عالِياً قائِلين : هذان الرجُلان يَلْهَثان من التَعَب وحِمَارُهُما مُرتاح فارِغُ الظَهْر ! إن المجَانين في الدُنيَا كِثار !

قال جحا لابنه : ماذا نَصْنَع لنُرضِي الناس ؟ تَعالَ نحْمِل هذا الحمار المزعِج على أكتافِنا .

وحملا الحمار حتى بَلَغا السُوق . ولما رأى الناس رَجُلَين يحمِلان حمارا تَجَمْهَرُوا ليَرَوا ما هذا الحمار العجيب الذي يُحمَل على الأكتاف . وازْدَحَمُوا حَول جِحا لِيَسْأَلوه .

رأى جحا الفُرصة سانحة لبَيع حماره باغلى الأَثمان . فأَخَذَ يَمْدَح الحمار ويُعَدِّدُ مَحاسِنَه قائلا : هذا حِمار لا كالحَمير . أُنظُرُوا إلى أُذُنَيه . لَنْ تَجِدُوا حمارا آخَر أُذُناه بهٰذا الطُول ! ليس في الدنيا حمار يَعْدِلُه في الذكاء . إنَّه حِمار قَوي جبَّار يَمْلأُ الحَيَّ نَهِيقاً . إنَّه مِن سُلالة الحمار الذي أَدْخَلَهُ سَيِّدنا نُوح السَفِينة وجَعَلَه آدَمَ الحمير . فَهْوَ أَحْيَل من شَيطَان وأَعقل من سُلطان وأَجمل صَوتاً من بُلبُل وأَحكَم من سَيِّدنا سُلَيْمان !

كان جحا يُرَدِّدُ هٰذه المدائح في حماره ويُعيدُها وراءه الدَّلال الذي يَتَوَسَّط بَيْنَه وبَيْنَ المُشْتَرين . وكُلما بالَغ الأَول في تَعظيم الحمار ، إشْتَدَّ حَماس الدَّلاَّل وبَالَغ في القَول حتى سُحِرَ الناس بهَيْئَة الاثنين وخُدِعُوا بالخُطَب والإشارات . فأَخَذُوا يَتَسابَقُون إلى مُشْتَرى الحمار ويَتَزَايَدُون في ثَمَنه .

فقال جحا في نَفْسه : لو لم يَكُن هٰذا الحمار عظيم

القيمة ، مُمتازا عَن سواه من حَمِير ، لما تَسابَقَ النــاس إلى شرائه على هذه الصُورة ... أَرى أَن أَشْتَرِيه أنا بدلاً من أَن أَبيعه وأَدع غيري يَسْتَفيد منه .

وللحال نَقَدَ الدَّلَّال كَمِّيَّة كَبيرة من النُقُود وعاد راكضاً إلى البَيْت هو وابنُه وحمارُه .

ولما رأَتْهُ زوجته سأَلَتْه : ماذا فَعلْت ؟ أَلم تَبع الحمار ؟

جحا : أَرَدْتُ بَيعه . ولكن لما رأَيتُ تَزَاحُم الناس على شرائه حتى كادوا يَقْتَتلُون لأَجْله ، خِفْت أَن يَفلت من يدي فاشْتَرَيتُه .

الزوجة : مــاذا تقول ؟ إشْتَرَيْتَ حمارَك ؟

جحا : نعم . خفْت أَن يَفلتَ من يَدي !

الزوجة : وهل دَفَعْتَ ثمنَه ؟

جحا : طَبْعاً . دَفَعْتُه إلى الدَّلاَّل .

الزوجة : لكنَّ الحمار حمارك . فكَيْف تدفَع ثَمَنَه مَرَّتَين ؟

فَضَرَب جحا جَبْهَتَه بيده وقال : صحيح . لقَد ازدحَم الناس حَولي وكُلٌّ منهم يُزَايد الآخر في الثمَن حتى تَضَعْضَع فكري ونَسيت أَنَّه حماري فَدَفَعْتُ ثمَنَه !

الزوجة : منذُ اشتريتَ هذا الحمار ما فَتئْتَ تَتَشَكَّى منه وتُريد بَيْعَه . ولما سَنَحَتْ لك فُرصَة البَيْع اشْتَرَيْتَه مرَّة أُخرى ونَقَدْتَ الدَّلاَّل ثمَنَه ؟؟ لم أَرَ في حياتي أَغْبَى منك ! آهِ ما أَتعَس حظِّي بك ! ليس في الدنيا امرأة تَشقَى بزَوْجها كما أَشْقَى !!

صاح جحا : أَلم أَقُل لك إن عشْرَة الحمير تَجْعَلُني

غَبِيّاً مِثْلَهم ؟ أنت التي اشتَرَيْت لي هذا الحمار اللعين بَعْدَ ضياع الأَوَّل !

الزوجة : كُنْتُ أَعرفُكَ غَبياً . لكني لم أدر أَنَّ الغَباوَة سَتَصل بك إلى هذا الحَدِّ !...

وظَلَّت تُوَبِّخُه وتُوسِعُه شَتْماً وإهانَة حتى كَرِهَ البَقَاءَ في البَيْت وتَمَنَّى الهَرَب . وجَلَس في ناحِية مِن بَيْتِه حَزِيناً مُنَكَّس الرأْس يَكاد يَذُوب مِنَ القَهْرِ . وإذا بالباب يُقرَع . ويَدخُل عليه رَجُلان يَدْعُوانِه لِمقَابَلَة السُلطان .



أَخَذَ جِحا يَرتَجِف مِنَ الخَوْف . وقال في نَفسه : لَعل السُلطان سَمع أَني شَبَّهتُ بِهِ حِمارِي حين قُلْت إِنَّه أَعْقَل من سُلطان . ولا شَك أَنَّه يُريد قَتْلِي .

لكِنَّه لم يَرَ بُدا من مُرافَقَة الرَّسُولَين إلى القَصْر . وحِين وَصَل إلى مجلِس السُلطان أَدَّى له التَحِيَّة ورَأْسُه يَكاد يَبلُغ الأَرض .

قال السلطان : سَمعتُ أَنَّ لديك حِمارا حَسَنَ الهَيْئَة شَدِيدَ الذَكاء لا يُوجَد مِثلُه بَينَ الحَمِير .

جحا : نَعم يامولاي . وقد عُرِض عليَّ بَيْعُه بأَغْلى الأَثمان فرفَضْت .

السلطان : صِف لي هٰذا الحمار .

أَخَذَ جحا يَصف للسُلطان محاسِن الحمار . وكأَنَّما هَبَط عَلَيه الوَحْيُ فَتَدَفَّق لِسانُه في الكلام حتى أَدْهَش

السَّامِعِين . وفي نِهايَةِ خِطابِه زَعَمَ أَنَّ حِمارَه لِشِدَّة ذَكائِه يَسْتَطِيع أَن يَتَعَلَّم القِراءَة والكِتابَة !!

فَطَرِبَ السُلطان وقال : إذا كان الأَمرُ كما تَقُول فإني أُريد أَن أَشْتَرِي منك الحمارَ بِشَرطِ أَن تُعَلِّمَه القِراءَة والكِتابَة !

أَدْرَكَ جحا خَطَأَه . فَعَضَّ شَفَتَه نَدماً وتَحَيَّر في الجواب . أَخِيرا بَعْدَ تَفْكِير قال لِلسُلطان : رَضِيت بأَن أُعَلِّم الحِمار القِراءَة والكِتابَة بشَرْط أَن تُفْرِدَ لي غُرْفَةً في قَصْرِك وتُعطِيني مُهلَة ثلاث سَنَوات أُواظِب فيها على تَعْلِيم الحِمار .

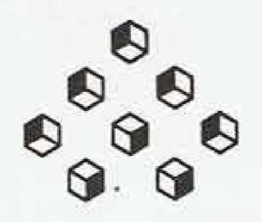
فَرَضِيَ السُلطان . وأَقام جحا في القَصْر بِجانِب الحِمار . وكانَت أَطباقُ الطَعام تُحمَل إليه كُلَّ يَوم مع عَلِيق الحمار وهُوَ جالِس على مَقْعد وثِير يُدَخِّن النارجِيلَة ويُعطِي الحمار دُروساً في القِراءَة والكِتابَة .



ولما سأله يوماً أحد أصدقائه : كيف وَعَدْتَ السُلطان بتَعلِيم الحِمار ؟ ألا تَعْلَم أنَّكَ إذا فَشِلْت قَطَعَ رأسَك ؟؟

قال جحا : أمامِي ثلاث سَنَوات أعِيش فيها بَعيدا عن صياح امرأتي وشَتائمها وأتَلَذَّذُ بأطايب الطَّعام . وفي خلال هَذه السَّنَوات لا بُدَّ أن يَحْدُث واحد من أربَعَة أشياء تُنقِذُني مِن انتِقام السُلطان . قد يَمُوتُ الحِمار . أو أمُوت أنا . أو يَمُوت السُّلطان . أو يَتَعَلَّم الحمار القِراءَة والكِتابَة بإذْنِ الله . ألَم يَقُلِ المثَل : التَّكْرار يُعَلِّم الحمار !

هنا تَنْتَهِي قِصَّة جحا وحماره . ولا أَعرِف ماذا حدَثَ بَعْدَها . هل ماتَ السُّلطان . ، أَم مات جحا ، أَم ماتَ الحِمار أَمْ تَوَصَّل جحا إلى تَعْلِيمِه القِراءَة والكِتابَة وسَلمَ مِـن غَضَب السُّلطان ؟



جحا معلم اولاد

حينَ فَشلَ جحا في جميع الأَعمال التي تعاطاها وضَاقَتْ في وَجْهه أَبواب الرزْق ، نَصَحَتْهُ زوجَته بأَن يُصبح مُعلِّم أَولاد وقالت له : هذه مهنة سَهلَة ، تُغْنيك عن قيادة الحمير . لا تحتاج إلى رأْسمال ولا تُكَلِّف صاحبها شيئاً . في بَيتنا غُرفَة مُنْعَزلة عن باقي الغُرف ، لا حاجَة لنا بها . فاجْعَلْها مَكتباً تُعَلِّم فيه الأَولاد .

إقتَنَع جحا بخطاب زوجته . لَبسَ جُبَّتَه الطويلة وضَخَّم عمامَتَه وتأَبَّطَ أَوراقاً ودَفاتر وحَمَل قضيباً . وأَعلَن أَنه عالمٌ كبير ومعَلِّمٌ من الدَرَجَة الأُولى . وسمَّى نفَسَه الشيخ نصر الدين جحا . فخُدع الناس بمَظْهره وأَخذُوا يأْتُون إليه بأَولادهم .

إعتَلَى جحا مصطَبَة (مكان مرتفع) في صَدر الغُرفَة

وجَلَس يستَقبلُ الطُلاَّبَ القادمين إليه . كان هؤلاءِ يَخْلَعُون أَحذيَتَهم عند عَتَبَة الباب ويَجلسُون مُتَكَتِّفين ويَنظُرُون بخوف إلى عمامته الضَخْمَة والقَضيب الطَويل الذي في يَده . فيَسْأَلهم : من منكم يَعرف القراءَة ؟ فيرفَع بعض الأَولاد أَيديهم . فيَقُول جحا : « الذين يَعرفُون يُعَلِّمُون الذين لا يَعرفُون . والذي يخالف ، فعندي عقابُه ! » ثم يَهُزُّ القَضيب مُهَدِّدا .

إذ ذاك يُسارع الأَولاد إلى إطاعة الأَمْر . يَجلس الذي يَعرف بجَانب الذي لا يَعرف ويَبدَأُ بتَعليمه . وتَبْدَأُ الجَلَبَة والدَويُّ . وجحا جالس يراقبُهم بعَيْنَين تَقْذفان الشَّرَر . وأَحيـانا كان يَضُمُّ صَوتَه إلى أَصوات الأَولاد ليُرَدِّدَ معهم العبارات التي كانوا يُرَدِّدُونها . فَتَعلُو الأَصوات ويَزدَادُ الهَدير .

ذَاع صيتُ الشَيْخ نَصر الدين جحا في البَلْدَة . فكان المارُّون بجانب مَدْرَسَته يسْمَعُونَ جَلَبَة الأَولاد الذين في

الداخل فيتهامَسُون : هُنا مدرسَةُ الشَيْخ . يُقالُ إنَّه عالم كبير ...

جاءَه يوماً واحدٌ من أُولٰئك الذين سمعُوا بصيته ، يَطْلُبُ منه أَن يَكتُبَ له مكتُوباً يُرسلُه إلى والده في بَغداد . ولما كان جحا لا يَستَطيع القراءَة ولا الكتابَة ، حاوَلَ التَّخَلُّص منَ الرَجُل فقال له : لَيس لَدَيَّ وَقْت ولا مال للسَفَر إلى بَغدَاد .

الرجل : لا أَطلُب منك السَفَر إلى بغداد . سأَلتُك فقَط أَن تَكْتُبَ لي مكتُوباً أُرسلُه إلى بغداد !

جحا : إعْلَم يا صديقي أَنَّ الرَسَائل التي أَكتبُهُـا لا يَستَطيع أَن يَقْرأَها أَحد إلا أَنا . أَتُريدُني أَن أُسافر إلى بغداد لأَقرأَ لأَبيك الرسالَة التي تطلُب مني كتابَتَها ؟

الرجُل : لمـاذا لا يَقدر أَحد على قراءَة مكاتيبك ؟

جحا : لأَني أَكتبُها بعِبارة أَنيقَة شَبيهَة بعِبَارَة كبار العُلَماءِ ولا بُدَّ لي من تَفْسيرها بنَفْسي .

إنصَرَف الرَجُلُ منْ عند جحا خائباً . وحدَّث جيرانَه وأَصدقاءَه بحديث الشَيخ فأُعْجبَ به بعضُهم وشَكَّ آخَرون وقالُوا : أَلا يَقدر على كتابَة مكتوب لا يَحتاج إلى تَفْسير ؟

ولَمَحَ جحا يوماً امرأَة مُقبلَة نحوَهُ بيَدها مَكْتُوب فقال لنَفْسه : « لا بُدَّ أَنها تقصدُني لأَقرَأَ لها المكتوب . » وهَمَّ بالخُرُوج من داره ليَهرُبَ منها فَلَحقَتْ به وسأَلَتْه : إلى أَين ؟

جحا : أُريد الصَّلاة .

المرأَة : لا يزال موعدُ صلاة الظُهر بعيدا فاقْرَأْ لي هذا الكتابَ الذي وَصَلَني من زَوجي الغائب .

ولما لم يَجدْ طريقة يَصرفُ بها المرأَة ، أَخَذَ المكتُوب



وجَعَل أَعلاهُ أَسْفَلَه وراح يُحملقُ في حُرُوفه . تارة يَرْفَعُ حاجبَيه وطَورا يَخفضُهما . حيناً يَمُدُّ شَفَتيه وحيناً يَزُمُّهما ويَبْدو في وَجهه الخوف والفَجيعة . حتى خافَت المرأَة وقالَت لنفسها : « يَظهر أَنَّ زوجي مات وهـذا الشَيْخُ يَسْتَحي أن يُخبرَني . » ثم سأَلَته : « هل أَصابَته مُصيبَة ؟ »

لكنَّ الشَيخ ظَلَّ ساكتاً يُحملق في الورَقَة التي في يَده فاشْتَدَّ خَوفُ المرأة وصاحَت : هل أَلطمُ وَجهي ؟

جحا : إلطِمي

المرأة : هل أَشُقُّ ثوبي ؟

جحا : شُقِّي ثوبَك

أَخذَت المرأة المكْتُوب وعادت باكية إلى بَيتها وأَخذَتْ تَلطمُ وجْهَها وتَشُقُّ ثوبَها . واشْتَرَك معها أَولادها في البُكاء واللطْم والعَويل حتى سَمعَت الجارات صياحَهم فجئنَ يسْتَطْلعنَ الخَبَر وعَرَفْنَ أَنَّ زَوجَها قد مات .

وفيما كانَت المناحَة قائمة دَخلَ البَيتَ واحد من الجيران . ولما سَمعَ بموت الرَجُل قال : « غَيرُ معقول ! لقد أَرسَلَ لي بالأَمس مكتوباً يقول فيه إنَّه بخَير وعافيَة وسَيَحضُر بَعْدَ عَشْرة أَيَّام . » وطَلَب أن يَقْرَأَ المكتوب فإذا فيه أَنَّ

الرجل في صحة جيِّدَة وأَنَّه مُرسِلٌ إلى امرأته ثوباً ورداءً فبَادَر إلى إخبَـار المرأة بمَضْمُونه فابْتَهَجَت و كَفْكَفَت دُمُوعَها وشَكَرَت الرَجُلَ على مَعْروفه .

ولما هَدَأَ رَوعُها وانصرف من بَيتها الجيران عادَت إلى الشَيخ وقالَتْ له : كيف قُلت إنَّ زَوْجي مات ؟ لقد كتَب يَقُول إنَّه بخَير وإنَّه مُرسِلٌ إليَّ ثَوَّباً ورداءً .

فاربَدَّ وجهُ الشَيْخ ولم يَدر ما يقول . ثُمَّ خَطَرَ له خاطر فابتَسَم وقال للمرأة . أُعذُريني فقَدْ كنت في تلْك الساعَة مشغُولَ الفكر، مُضطَربَ البال، ورأيتُ الثوبَ مَلفُوفاً بالرداءِ فَظَنَنْتُه مات و كُفِّن !

إنتَشَر في البَلْدَة خبَر المكتوب وَخِداعِ جحـا للمرأة فقلَّت ثقَة الناس بعلمه وأَخَذَ الأَولاد يُفارقُون مَدرَسَتـه واحداً بَعْدَ آخر . وكان بعْضُ تلاميذه القُدماءِ يَجْتَمعُون

عند نافذته ويَصيحُون بالذي في الداخل : المعلِّم جحا لا خَيرَ فيه ! أُترُكُوا مدرسَةَ المعَلِّم جحا !

واشتَدَّت جَلَبَتُهُم في أَحَد الأَيام فتضايَق جحا وحاول أَن يُبعِدَهم . فأَطَلَّ منَ النافذَة وقال : إنَّ في بَيت فلان عُرساً يُدار فيه النَقْـلُ من مَلَبَّس وغيره . فاذهبوا إلى العُرس مُسْرعين قبل أَن يَنْفَدَ النَقْل !

فصَدَّقُوه وأَطلَقُوا سيقانَهم للرِّيح قاصدين المكان الـذي أَشار إليه جحا . ورآهم جحا راكضين فقال لنَفْسه : لو لم يَكُن العُرْسُ حقيقَةَ لما انْطَلَقُوا بهذه السُرعَة . فلأَذْهَبْ أَنا أَيضاً إلى هناك قبلَ أَن يَنْفَـدَ النَقْل وتَفُوتَني الفُرصة !

وهَبَّ راكضاً ، تاركاً مدرستَه ، ليَلحَقَ بالأَولاد . ولما

وصَلَ إلى المكان الذي زَعَمَ أَن فيه عُرساً رأى أَهلَ البيت



يُطاردون الأَولاد بالعُصيِّ والحجار . فأُصيب جحا بحَجَر كبير ونال جَزَاءَ كذْبه .

وانْقَطَع بعد ذٰلك عن تَعليم الأَولاد .

✠✠✠

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني
للطباعة والنشر
بيروت

مجموعة قصص للاطفال

١ – نفنوفة وقصص اخرى
٢ – اصوات الغابة
٣ – زاهي وناهي
٤ – بياع الطرابيش
٥ – النملة والبرغوث
٦ – الحمار في العرس
٧ – الاخوات الثلاث
٨ – نادرة والسمكة

مجموعة قصص للاولاد

١ – قصص من الحياة
٢ – قصص عجيبة
٣ – ٤ – سميرة في الساحل
٥ – ٦ – سميرة في الجبل
٧ – ٨ – حكايات جحا
٩ – حكاية ابي علي

١٠ – حذاء الطنبوري
١١ – الهررة والاسماك
١٢ – الامير يوسف والاميرة لبلبة
١٣ – حكاية وليم تل

اغاني وتمثيلات للصغار

حديقة الاشعار للأطفال

حديقة الاشعار للاولاد

مجموعة قصص مسرحية للأولاد

١ – ثلجة ووردة
٢ – اربع مسرحيات مغناة
٣ – البنفسجة الطموح
٤ – بنت الطحان
وبرامج اخرى ليوم الأم
٥ – عنتر وعبله